

هوية اللغة بين جدلية الولاء للفصحى وتجاذبات العامية مقاربات وحلول

Language identity between the dialectic of loyalty to classical Arabic and the tensions of colloquial Arabic: approaches and solutions

د. لبصير نصر الدين

جامعة امحمد بوقرة بومرداس

أستاذ محاضر. أ

labessir.nouraddine67@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/01/04	تاريخ القبول: 2022/01/01	تاريخ الإرسال: 2020/01/01
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

إنّ هذه الورقة البحثية تنطلق من الواقع الذي تعيشه اللغة العربية الفصحى في حياتنا التواصلية ، ولما كانت اللغة وسيلة للتواصل بين البشر ، والأهم كانت الدول المتقدمة تحرص أن تكون لغتها حية تستخدم في كلّ نواحي الحياة للتحدث ، وللتخاطب ، وللكتابه ، وللتعلم ، وللتواصل...، ولكن المؤسف أنّ واقع اللغة العربية اليوم ليس كذلك كونها لا تستخدم كثيراً للتواصل، كلّ ذلك أفضى بنا إلى البحث عن واقع اللغة العربية في التواصل اليومي بين جدلية الولاء للفصحى واستخدام العامية ، ومحاولة تقديم المقاربات والحلول؛ لأنّه في اعتقادنا أنّ اللغة أكبر من مجرد شفرة للتواصل؛ بل هي رمز للهوية، والخصوصية الثقافية لذلك تبقى مسؤولية كلّ أمة كبيرة للحفاظ على لغاتها، وتراثها، وقيمها، فمن الضروري اليوم أن نمحور السؤال ما الذي ستفعله العامية والتهجين باللغة العربية الفصحى؟ أو ماذا سنفعل للارتقاء باللغة الفصحى؟ وفي الوقت الذي نشكي فيه من تراجع لغتنا العربية الفصحى هناك أسئلة لا بد من طرحها منها ما أهم الروافد، والحلول التي يجب أن نعتمد عليها للحفاظ على اللغة التي تمثل هويتنا العربية؟، و هل تكفي بعض المؤتمرات، والندوات والمبادرات والوسائل التعليمية والإرشادية التي يرى فيها أصحابها وسيلة لتدعيم استخدام العربية ؟، كلّ ذلك يعطي الباحث مشروعية البحث، والتماس الأسباب الكامنة وراء انتشار هذه الظاهرة بشكل لافت، لأنّها لم تقتصر على وطن عربي واحد؛ بل تكاد تكون عامة لا يخلو منها بلد من البلدان العربية، ممّا يدفع للبحث، والتعمق في دراسة هذه الظاهرة من مختلف الجوانب، فالخوف على مستقبل اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: الفصحى-العامية- الصراع-التواصل- اللغة- الاندثار-

مقدمة: الحمد لله القائل في محكم قرآنه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ

اسْتَطَاعُوا﴾ البقرة: 2; والقائل أيضاً: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ البقرة: 120; والقائل: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ النساء: 89; والقائل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ البقرة: 109، الحمد لله الذي جعل القرآن عربياً غير ذي عوج تحدّى بفصاحته العرب ذوي الحُجَج، والصلاة والسلام على النبي بالفصاحة منعوته، وبالبلغة مبخوته ورحمة للعالمين مبعوته، وعلى آله ومن اتبع هديه ليوم الدين، أما بعد: فما زالت تواجه العديد من الدول، ومنها دول العالم العربي والإسلامي مشاكل وأزمات خطيرة تهدد وحدتها الوطنية بالانهيار والاندثار، ولعل من أخطر هذه الأزمات على الإطلاق: بل ربما أكثرها جدلاً أزمة اللغة.

وتعد اللغة الوسيلة الأساسية التي تساهم في بناء اللغة، والحضارة، والثقافة، والفنون، والمعرفة والعلوم... إذ تحاول هذه الورقة البحثية أن تسلط الضوء على واقع الإستعمال اليومي للغة العربية في ظلّ جدلية الولاء للفصحى، والتعصب لها، أو التملص منها واستخدام العامية.

وتجاذبات اللغة العربية الفصحى والعاميات ليست وليدة اليوم، ولكن ما يحدث الآن هو تراكمات لمفاهيم بدأت قبل ما يقرب من قرن من الزمان.. حيث كانت وما زالت هناك هجمة شرسة وممنهجة على اللغة العربية الفصحى.

وإنك لتعجب من صنيع أمة أكرمها الله عز وجل بلغة من أعظم اللغات، إذ هي لغة كتابه الذي لم ينزل تبارك وتعالى كتاباً قبله مثله، ولن يُنزل كتاباً بعده، فهو آخر الكتب الإلهية المنزلّة، ولغة رسوله صلى الله عليه وسلم، كيف لا تعتر باللغة التي فضلها الله، وتستبدلها بالتي هي أدنى، ويتسابق الأبناء والأبناء للتواصل والتخاطب بالعامية؛ بل عدت تعلمها والحديث بها يعدّ سبة وتخلفا ورجعية، وعوض أن تبعث في نفوس أمتها الاعتزاز، والفخر، والمحبة، والعزة، فقد هجرت وتعرضت لشتى أصناف الإهانة ما لم تعرفه لغة أمة أخرى.

تشكّل اللغة الركيزة الأساس في بناء المجتمعات، وليست هناك لغة خارج المجتمع، ولا مجتمع من غير لغة، وهي أضخم عملية حضارية تنشئ الحضارة، وتتمثلها وتعبر عنها، وهي ذات رصيد حضاري، لا حدود له، والانتماء إلى اللغة هو انتماء إلى وجود معيّن. فموقع اللغة هو موقع الحياة نفسها، ولا وعي من غير لغة.

أهمية الدراسة: يمكن إجمال أهمية هذه الدراسة في النقاط الآتية:

- ما نشهده اليوم من انصراف كثير من أفراد المجتمع إلى التحدث بالعامية، واللغات الأجنبية، و خلط العربية ببعض اللغات الأجنبية، وتركهم العربية الفصحى، وهو اتجاه يتكاثر، وينمو بسرعة فائقة بينهم.
- ما تعانيه لغة الضاد من غبن وظلم وتهميش واغتراب بين أهلها.

- وباعتبار اللغة لسان الجماعة، ومرآة فكرها، ومنجم عطائها، والملمح الرئيس لخصوصيتها، ولهذا فإنّ النظام العالمي الجديد يركز في أهدافه على هدم خصوصيات الآخرين على خطين متوازيين، اللغة والهوية، إذ يرى فيهما عنصرين مركزيين لأية ثقافة أو حضارة، من أجل ذلك لم يعد مقاربات سؤال اللغة ذات بعد معرفي فقط بل أصبحت تطرح رهانات خطيرة متعلقة بتحسين الهوية واستمرارها.

- ويأتي أهمية البحث في مثل هذا الموضوع ما نلاحظه في ظلّ العولمة من التغيير الحاصل في المشهد الثقافي الإنساني، ممّا أدى إلى انقلاب، وانفلات المرجعيات، والقضاء على الخصوصيات .

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة لتحقيق جملة من الأهداف:

- الإرتقاء باللغة العربية الفصحى لتكون لغة التداول بين أبنائها.
- إنّ اللغة ميزانٌ دقيقٌ ومعيارٌ أساس في حفظ الهوية، وتحديد الذات، فهي شريان الأمة، وأقنوم الحضارة، ومصدرٌ من مصادر القوة، وإذا أضاعت أمة لسانها أضاعت تاريخها، وحضارتها، كما تضيع حاضرها ومستقبلها، لذلك لابد من تضعيف الجهود لزيادة الوعي بعدم التخلي على اللغة العربية من قبل أبنائها.
- تحديد التحديات، والمتغيّرات، والأخطار التي تحيط باللغة العربية الفصحى في ظلّ كثرة السّهام الموجهة لها قديماً، وحديثاً.
- غرس الاعتزاز بالعربية الفصحى، واستخدامها يومياً؛ لأنها مصدر عزنا، والتشجيع المستمر بكلّ الوسائل المتاحة على التواصل بالعربية الفصحى، ونشر الوعي عن خطورة، وسلبات وأثار استخدام العماميات.
- السعي لتصبح اللغة العربية الفصحى أداة فعّالة في التواصل بين أفراد المجتمع وبين الأنا والآخر، ووسيلة من الوسائل التي يمكن من خلاله إحياء منظومة من المعارف.
- استكشاف واقع اللغة العربية المستخدمة في التواصل الاجتماعي
- السعي لإيجاد آليات تحافظ على اللغة العربية الفصحى.

إشكالية الدراسة: إنّ العملية التواصلية التي تتم يومياً تكاد تكون بالعامية، لذلك تطمح هذه الورقة البحثية الموسومة ب(هوية اللغة بين جدلية الولاء وتجاذبات العامية مقاربات وحلول) إلى الإجابة عن جملة من التساؤلات الهامة: هل التواصل بالعامية يشكل خطراً على هوية اللغة الفصحى؟، وفي خضم هذه التحاذب هل اللّغة الفصحى قادرة على المواجهة؟، وهل يصبح خطر الزوال، أو الانحسار، أو التشويه وارداً؟، وهذا الإشكال يجرّ وراءه مجموعة من الإشكاليات التي نود مناقشتها، والتي يمكن أن أجملها في النقاط التالية: هل اللغة مجرد وسيلة للتخاطب والتواصل، أو هي هوية دينية وقومية؟، ماهي الأسباب التي أدت إلى عدم التداول اليومي في البيت، والشارع، والسوق، والمقهى، والملاعب، والتعليم في أحيان كثيرة...؟، وهل التخلي عن الفصحى هو تمزيق للوحدة الثقافية في العالم العربي؟، وهل تقدم

الوطن العربي مرهون بالاستغناء عن اللغة العربية والحديث والكتابة، والتدريس بالعامية كما يزعمون؟، وهل سبب تخلفنا عن ركب الحضارة الحديثة، هو تمسكنا باللغة الفصحى؟، واللغة التي يتفاعل معه الجمهور الجزائري تكاد تكون بالعامية؟ ماهي اللغة الحاضرة في واقعنا الفصحى أم العامية؟ وهل استخدام العامية يضعف اللغة الفصحى؟ وهل استخدام الفصحى ينمى الارتباط القومى بين أبناء الأمة العربية والإسلامية؟ وفي ضوء هذا المعطى والتساؤلات، والإشكاليات التي طرحت تلخص بعض جوانب التجاذب بين الفصحى والعامية التي تطمح هذه الورقة البحثية في مقاربتها الراهنة، ثم ما مدى صلاحية الإشكاليات التي طرحتها، ومحاولة الإجابة عنها وتقديم بعض الحلول المناسبة بما يلقى المزيد من الضوء على هذه الإشكالية، وهي الإشكالات التي ظلت مطروحة للنقاش والمحاوره، وما زالت تنتظر الإجابة من المثقف العربي.

مكانة اللغة العربية بين الأُمس واليوم:

مكانة اللغة العربية بالأُمس: إنَّ اللغة العربية ذات أهمية كبيرة لدى المسلمين، ذلك لأنها لغة

القرآن، والإسلام قد رسخ خصوصيتها، باعتبارها وعاء التنزيل، ولغة الوحي، فامتلكت بهذا التشريف الإلهي مكانة رمزية، فقد وصف الله القرآن في أكثر من آية بأنه عربي؛ فجعل العربية وسيلة لفهمه؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: 2، فطلب فهمه إنَّما يكون من هذا الطريق خاصة؛ لذلك قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف: 3، وجعله عدلاً؛ فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ الرعد: 37، وفرق بين اللسان الأعجمي واللسان العربي؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ الأحقاف: 12، وجعله مبشراً ومنذراً؛ فقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ النحل: 103؛ وقال: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّيُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ الشُّورَىٰ﴾ 7؛ وقال: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: 28، ووصفه بالاستقامة؛ فقال: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فصلت: 3، كما وصفه بالبيان؛ فقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء: 195؛ وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ طه: 113، أنزله عربياً لا عجمة فيه؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل: 103 فكثف القرآن من ذكر اللغة العربية لأنَّ الخطاب القرآني خطاب لغوي، كان يهدف إلى مخاطبة كلِّ الناس، فكان حامل الخطاب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومرسل الخطاب هو الله تعالى، والمرسل إليهم هم الناس جميعاً، والرسالة هي القرآن، والأداة التي صيغ بها الخطاب اللغة العربية، أما القناة التي مرَّ عبرها الخطاب إلى العالمين فهو الرسول صلى الله عليه وسلم، لذلك كانت اللغة العربية ضرورية لفهم القرآن، لأنَّ فهمه متوقَّف على فهم لغته التي نزل بها؛ قال الشافعي: "وإنَّما بدأتُ بما وصفتُ من أنَّ القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنَّه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه، وتفريقها، ومن علمه انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهل لسانها"¹؛ ولذلك كانت اللغة العربية ضرورية لفهم القرآن، لأنَّ فهمه متوقَّف على فهم لغته التي نزل به؛ قال الشافعي: "إنَّما خاطب

الله بكتابه العرب، على ما تعرف من معانيها".³

وحقّ تصل الرسالة فعلاً إلى المرسل إليهم يتعين عليهم أن يقفوا على مضمونها، وأن يعرفوا محتواها معرفة تامة، ولا يكون ذلك إلا باللغة العربية، ولعل ذلك ما جعل ابن تيمية يقرّر أنّ تعلمها فرض على الكفاية لأنّه يتوقف عليها فهم القرآن والحديث.⁴

وقد أكد ذلك الشاطبي بقوله: "أنّ الشريعة عربية، وإذا كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلاّ

من فهم اللغة العربية حق الفهم..⁵ وقوله أيضاً: "كلّ معنى مستنبط من القرآن غير جارٍ على اللسان العربي؛ فليس من علوم القرآن في شيء، لا ممّا يستفاد منه، ولا ممّا يستفاد به".⁶

وقد شدّد السلف النكير على من تجرأ على التفسير دون أن يكون عالماً باللغة؛ فقال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن: بالله، واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذالم يكن عالماً بلغات العرب".⁷

إنّ هذه العناية الإلهية، وهذا الإختيار الإلهي لتكون وعاء لكتابه الخاتم، ولعل هذا هو التحدي الأكبر للغة العربية؛ كما يقول أنور الجندي: فلو لم ينزل بها القرآن لكانت لغة من اللغات التي تخضع لقوانين تغيّر العصور، والبيئات، وتداول العاميات. من شأنها حفظ اللغة العربية من التشويه والمسح، إذا وجدت من أبنائها حرصاً صادقاً، على رعايتها، والاعتزاز بها، والمنافحة عنها ضد الحملات المسعورة التي لا تكاد تهدأ.⁸

وهي كما قال ابن كثير أفصح اللغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات.⁹

وقال الطاهر بن عاشور حصل لهذا الكتاب كمالان: كمال من جهة معانيه، ومقاصده وهو كونه حكماً، وكمال من جهة ألفاظه، وهو المكثى عنه بكونه عربياً، وذلك ما لم يبلغ إليه كتاب قبله لأنّ الحكمة أشرف المعقولات فيناسب شرفها أن يكون إبلاغها بأشرف لغة وأصلحها للتعبير عن الحكمة.¹⁰

واقع اللغة العربية اليوم: فقد كانت اللغة العربية الدور الرئيس في تأسيس الحضارة العربية والإسلامية، وشكّلت المحور الذي اشتغلت عليه الدراسات، والمعارف، والبحوث، والعلوم، فكانت بحق الأساس، والمنطلق، والمرجع الذي شكّل الهوية المشتركة، والجامعة لأفراد الأمة، فقد بذلت جهود كبيرة خدمة لهذه اللغة، لذلك كلّ لا ينبغي أن نتجاوزها إلى غيرها رغبة عنها، فهناك فجوة كبيرة بينها، وبين أبنائها، ولم تعد قادرة على مواكبة العصر بالنظر إلى حال لغتنا اليوم، فقد تقهقرت عن وضعها عمّا كانت عليه في العهود الغابرة، مقارنة بمثيلاتها من اللغات الأوروبية.

واللغة العربية شكّلت باستمرار لغة العلم، والمعرفة منذ قرون من الزمان: يقول روجر بيكون (في القرن الثالث عشر الميلادي): "من أراد أن يتعلم فليتعلم العربية لأنها هي لغة العلم".

واللغة العربية لم تتوقف عن التطور، والتفاعل مع المستجدات، والأخذ والعطاء، في القديم أو الحديث، مرت عليها فترات ازدهار عظيمة حين كان أصحابها أقوياء أعزة لا يتماهون مع عدوهم، ولا يستسلمون له، وكانت لغة العلم والبحث في أوروبا على مدى عصور، كما استوعبت الحضارات القديمة، ومعطياتها، كما شهدت فترات التذبذب حين أصاب أهلها الضعف، والوهن، فظلت تتذبذب صعوداً وهبوطاً نتيجة للواقع الذي نعيشه.

أهمية اللغة ودورها في تشكيل الهوية: لا يمكن أن نخترل العربية على أنها وسيلة للتواصل ووسيلة للتفكير.؟ أعتقد أن مفهوم اللغة يوحي على معانٍ عميقة لا يمكن حصرها في الغاية التواصلية بين الناطقين باللسان العربي أو بالقول إنها وعاء الفكر والعقائدي، والثقافي، أو أنها آلية تفكير وإبداع فحسب. فلا نشك مطلقاً في أهمية اللغة كمقوم رئيس في تشكيل الهوية، لذلك نؤكد على الترابط العضوي بينهما، إنَّ اللغة تنتمي إلى مجتمع بشري معين والتي يتكلمها أبناؤه ويفكرون بواسطتها هي التي تنظم تجربة هذا المجتمع، وهي التي تصوغ بالتالي "عالمه و"واقعه الحقيقي فكل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم تشكل هويته، لذلك يعتبر موضوع اللغة والهوية من الموضوعات المهمة.

ويعدّ العامل اللغوي أهم مقوم أمام سائرا لمقومات الأخرى التي تكون هوية الأمة، ولعل ذلك هو ما دفع بواضعي «ميثاق التنوع الثقافي» في منظمة اليونسكو إلى التأكيد أنَّ اللغة ليست أداة للاتصال واكتساب المعرفة فحسب، بل إنها أيضاً مظهر أساسي للهوية الثقافية ووسيلة لتعزيزها، سواء بالنسبة إلى الفرد أو إلى الجماعة.

حدود العلاقة بين اللغة والهوية: هناك أسئلة كثيرة طرحت، وما تزال تلوح في أذهان الباحثين حول العلاقة الجدلية المتجذرة بين اللغة والهوية، هل يصبح لازماً علينا اليوم أن نطرح هذا السؤال نفسه، والذي ظل يتكرر لسنوات طويلة، خاصة بعد الهزات والتطورات التي عرفتها الدول العربية على جميع الصعدة، هل ما زالت اللغة العربية معبرة عن الهوية، وعنواناً للوجود .

ولا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية لأنَّ اللغة تحمل هموم متكلميها وتنظم سلوكهم، وتفاعلهم وتوحد انتمائهم، فقيمة اللغة ليست في طبيعتها، ولا تقع في أساس مكوناتها الداخلية إنما هي فكرة، أو مفهوم، أو صفة ميزها الناس بها وتفاهموا على الاعتراف بها واعتبارها فيها دون سواها. وهي بالتالي تحليل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه وتعكس

¹¹ انطباعاتهم وتلقينهم للأحداث التي يمرون بها"

واللغة كما يراها فيصل الحفيان هي أقدم تجليات الهوية لدى الجماعات البشرية، إذ لا شك

أن تَشَكَّل هذه الجماعات قد ارتبط ببحثها عن وسيلة للتفاهم. وإذا كنا لا نعرف - على وجه الدقة - طبيعة هذه الوسيلة الآن- فإنَّ المؤكد أنَّها مع بعض التجاوز "لغة"، وأنَّها هي التي مكنتها من أن تُكوِّن مجتمعاً أحس أفرادُه بأنَّ شيئاً مشتركاً يجمعه مع من يتفاهم معهم من¹² ناحية، ويميزه أو يميزهم عن غيرهم من ناحية أخرى.

لا أعرف أمة تكالبت على احتقار لغتها كالأمة العربية، وهل هناك شعب ينتقص من قدر لغته، قدر الشعب العربي؟ لقد أدركت الأمم دور اللغة في الحفاظ على هويتها انظر مثلاً للتجربتين الكورية والصينية، فهذه الشعوب تحترم لغتها الأم؛ تعيد لها الاعتبار لتحافظ على هويتها وكيانها، وتكتسب احترام العالم، واليابان مثلاً، ورغم تفوقها التقني، لم تعمل على رفع مستوى اللغة الأجنبية في بلدها، على حساب لغتها الأم؛ بل حافظت على لغتها، وأتاحت لقلّة من مواطنيها إتقان اللغة الأجنبية، حتى تنقل التقدم التكنولوجي إلى اللغة اليابانية، ضمن إستراتيجية مدروسة جيداً.

قوة الدول في قوة لغتها: لقد أدركت الشعوب الحية أنَّه لا وجود لها على خريطة العالم المعولم إلا بتمسكها بلغتها الأم والحفاظ على ذاتها الثقافية وهويتها المميزة. ولا شك أنَّ قوة الدول في قوة لغتها: يقول ابن حزم رحمه الله: " فإنَّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنَّما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تَلَفَّت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمونٌ منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغته، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبُيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة

ومعلوم بالعقل ضرورة".¹³

هل نظلّ نتحدث عن الأزمة التي تعيشها الأمة، والتحديات التي تواجهها دون الوقوف على العلاج؟ وبين هذا وذاك نرى أن الثورة الشاملة لا بد أن تأخذ في اعتبارها لغة الخطاب، فقوة اللغة في أمة ما تعني استمرارية هذه الأمة بأخذ دورها بين بقية الأمم؛ لأنَّ غلبة اللغة بغلبة أهلها، ومنزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم كما يقول ابن خلدون.

اللغة العربية بين قانونية الدستور وتحقيق السيادة: بالرغم من أنَّ أغلب الدساتير العربية من المحيط إلى الخليج -إن لم نقل كلّها- تعدّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية التي يجب الأخذ بها في جميع نواحي الحياة، فإنَّنا نجد أول فقرة تخترق من مواد هذه الدساتير، ولكن دستورية اللغة العربية غير محترمة في سائر هذه البلدان، وهنا المفارقة العجيبة بين دساتير البلاد، وقوانين العباد إذ يُلجأ إلى الحديث والتدريس، والإعلام، والمخاطبات باللغات الأجنبية، والعامية، فيحتجون بفصول الدستور المُسجَّلة لرسمية اللغة العربية محاباةً وتملقاً أو خوفاً وتشدقاً، ويفتحون الباب على مصراعيه لممارسة اللغات الأجنبية وجوباً وضرورةً أو انسلاخاً ومسخاً، وانهزاماً.

إنَّ السيادة تبقى في نظرنا ناقصة ما لم يتحقق تعميم استعمال اللغة العربية على جميع المؤسسات الناطقة التابعة للدول العربية، ومن بينها المؤسسات الجامعية.

والجدير بالذكر أنّ مسألة الرسمية من جملة ما تعنيه أن تمارس العربية في كلّ المجالات، وأن يتمّ التعامل بها في التعليم، والإعلام، والإدارات، والبحث العلمي، وأن تحترم البنود المرتبطة بدستورية اللغة العربية كما تحترم باقي مواد الدستور المنظم للبلاد..

هناك فجوة كبيرة بين الإجراءات القانونية والممارسات التطبيقية: إنّ اللغة العربية لا تكاد تسجل إلّا حضوراً رسمياً شكلياً على مستوى الدستور دون ترجمة هذا الدستور على مستوى الممارسة، إنّ السيادة في نظرنا هي الكفيلة بالنهوض باللغة العربية في التعليم، عندما أصدرت الجزائر قانوناً يتمّ بموجبه تعميم استخدام اللغة العربية وقعه الرئيس الشاذلي بن جديد 1991م لكنّه جمد هذا القرار، ثمّ شلت ضده حملات مسعورة من قبل فرنسا، واللوبي الفرنكفوني، ولم يهدأ لهم بال حتى أصدر البرلمان الأوروبي قراراً ضد القانون الجزائري 1997م جاء فيه أنّ اللغة العربية فرضت عنوة على المجتمع الجزائري في التعليم والقضاء والإدارة.. والدول الغربية عموماً، وفرنسا خصوصاً تعمل جاهدة على منع أية محاولة جادة لإعادة الإعتبار للغة العربية، والغريب أن فرنسا ذاتها أصدرت 1994م قانوناً لحماية اللغة الفرنسية.¹⁴

اللغة من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون: ولما كانت اللغة مرآة أهلها ووعاء فكرها فإنّ واقع اللغة العربية الفصحى في المجتمعات العربية تعكس حالة التردّي الفكري واللغوي وربما الاجتماعي التي وصلت إليه تلك المجتمعات العربية، حيث تحولت المجتمعات العربية إلى مجتمعات مستهلكة للثقافة الأجنبية، وقد أدى ذلك لضعف الهوية واللغة.

إنّ الإنسان، كما يذهب إلى ذلك جان فرانسوا ماركسييه، كان يبحث منذ البدايات عن مرآة يمكن أن يجد فيها صورة هويته المشتتة، وقد جمعت وجرى فهمها أخيراً، وهو يعثر على غداء بحث كهذا في اللغة، الفلسفة والآداب..¹⁵

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "... فإنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون".¹⁶

وتمايز الأمم والشعوب واختلافها أمر طبعي، وهو آية من آيات الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الروم: 22، وهذا التمايز في الخلقة يستتبع اختلافاً في الثقافات، والنظم: قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ المائدة: 48، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميّزون، لذلك الأمة التي تحترم ذاتها تعزّز بلغتها، وتحرص على استقلالها، وأمنها اللغوي؛ كما تحرص على استقلالها، وأمنها العسكري، والاقتصادي، وتحترم قوانينها اللغوية، وتتمسك بها، والأمة الدّليّة تفرط في لغتها، حتى تصبح أجنبية عنها، وهي منسوبة إليها.

اللغة والمشاركة الجماعية: فاللغة هي السبيل القوي للحفاظ والثبات على المشاركة في الجماعة وعلى الهوية الخاصة بكل فرد، ويورد (ر.ل. تراسك) مثلاً على أنّ الحفاظ على اللغة حفاظاً للهوية بأنّ هناك سبباً يستخدم لغة خاصة

بطبقته وحين التخلي عن هذه اللغة وتناول لغة أخرى ليست من طبقته يعني هذا التخلي عن لغته وعن هويته، وكأته يقول: "لم أعد واحداً من جماعتكم" لذا تعد اللغة أداة بالغة القوة للإعلان عن هوية شخص ما والحفاظ عليها.¹⁷

إن الأمة التي لا تحترم لغتها تنكمش وتنعزل، وتضعف بضعف لغتها فاللغة تقوى، وتكتسب المناعة ضد المؤثرات الخارجية حين تكون لغة العلم ولغة المعرفة ولغة الحياة فتفرض نفسها وتملى شروطها، ولا تدوب في لغة أخرى فتفقد هويتها وتتخلى عن رسالتها.

لقد انقرضت لغات أمم بكاملها عندما اجتاحتها الاستعمار اللغوي كما حدث في أستراليا

ونيو زيلندا، ومثلما انقرضت لغات الهنود الحمر وغيرهم من الشعوب.

ومن أسباب انتشار العامية الحروب والمؤمرات على اللغة العربية: ما أكثر ما يجري

العدوان على هذا اللسان الذي وسع الدين والقرآن، ولعل سبب إعلان الحروب على اللغة العربية الفصحى هي كون تلك اللغة لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث النبوي الشريف، ولغة حضارة، وتراث، إنهم يريدون أن تكون هناك لغة للمعبد وهي العربية، ولغة للمعهد العلمي، وهي الإنجليزية، أو الفرنسية، أو ما إلى ذلك، وهذه قضية خطيرة جداً، وشيئاً فشيئاً، سوف تنفصل العربية عن الحياة، وتصبح العاميات، واللهجات هي المسيطرة، فتدخل الفصحى إلى المتحف كما دخلت اللاتينية كما ذهب أنور الجندي¹⁸، وسوف يكون انقطاع عن التواصل اللغوي، وإدراك الميراث الثقافي، والتفاهم مع القرآن بالنسبة للأجيال القادمة، فالقضية ذات أبعاد متعددة وخطيرة، اتفق علماءنا على أن النظم العربي جزء من النص القرآني جزء من الوحي، ولا يمكن أن يسقى وحيّاً أبداً لو ترجم إلى لغة أخرى، مهما كانت الترجمة.

والتعبير بالعاميات، كل ذلك يعد تهمة شاملاً، وتعدياً على لغة القرآن، وقتلها، ومحاصرتها إن

مواكبة تطورات العصر، والحدثة لا يكون بتهميش اللغة العربية، فالسؤال الذي ينبغي طرحه: لماذا العربية الفصحى بالذات دون غيرها من اللغات؟، لذلك كان الهدف القضاء على العربية لا شك لأنها لغة القرآن لغة الوحي والتشريع، لغة تراث وحضارة، فقد أدرك أعداء الإسلام خطر اللغة العربية، وانتشارها، فتنوعت المخططات للقضاء، والتأمر عليها، فتارة باسم الحدثة، وتارة أخرى بالتعددية الثقافية، وأخرى باسم الكونية، وتارة بقرارات سياسية، وتارة باسم الكونية التي تسعى لتذويب الهويات، والقضاء على الخصوصيات، وتارة بضرورة مواكبة العصر، وتارة بفتنة عمياء تثير الجدل وتعيق عن العمل، وتارة باستعمال أبواق لا خلاق لها للترويج للغة مهجورة متخلفة أو للدعوة إلى عامية شائعة، وما تزال مخططاتهم توجه إلى اللغة العربية الضربة تلو الضربة إلى اليوم حتى يطفئوا نورها؛ يقول أنور الجندي: "فاللغة العربية الفصحى -لأنها لغة القرآن- أصبحت هدفاً من أخطر الأهداف... في طموح يهدف إلى فصل البيان العربي المعاصر عن بيان القرآن على نحو يجعل من نتائجه قراءة القرآن بعد مائة عام بقاموس"¹⁹، فهؤلاء لا يطمحون لتطوير العامية، ولكن الهدف هو كسر قوانين، والأصول التي صانت الفصحى للقرون، فتكون النتيجة تبليد

الألسنة، وتصبح عربية اليوم تختلف عن عربية الأمس، وتغدو قراءة القرآن، والتراث أمر متعذر على غير المتخصصين من دارسي الآثار والطلاسم.²⁰

ويقول محمد الغزالي: والهدف الأول والأخير لهذا العدوان القديم الجديد لخصه القرآن الكريم في هذه الكلمة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ البقرة: 2.. ولم تتغير قط الغاية المنشودة، وإن اختلفت على حسب العصور الخطط المرسومة.. هم يريدون

الإتيان على هذا المصحف الشريف وصاحبه الذي جاء به.²¹

يدرك أعداء الفصحى، ومن يقف وراءها، وأذناهم أنّ هدم اللغة العربية دفعة واحدة غير ممكن ولا ميسر، لذلك تراهم ينوعون في الخطط، يكفهم في كلّ مرحلة أن يخربوا بعض أطرافه، ويقنعوا بعض أحجاره لعلّه يتاح لهم في المستقبل دك أعمدها وتخريب أساسها.²²

من أسباب انتشار العامية التعليم: لعل أكبر مشكلة نعاني منها - مؤسّساتنا التربوية وغيرها أنّها تحولت من الحرب على العربية التي عمّر مدة طويلة من الزمن إلى الدعوة إلى العامية، فظلّ الهجوم على العربية وما زال بأنّها لغة لا تصلح للعلم والمعرفة، وهذا ما حدا بكثير من الدول العربية لتدريس العلوم باللغات الأجنبية ممّا منح الأسبقية للغات الأجنبية في السياسات التعليمية كل ذلك شكل تهديدا للغة العربية العربية، وهي منطلقات في اعتقادي غير مقنعة وغير علميّة، وغير مبررة، كلّ ذلك أدى إلى تقوية الأنساق اللسانية الأجنبية على حساب النّسق اللّغوي العربيّ، وبالتالي عمدت إلى إنتاج ميولات إلى الآخر بحكم الصّورة التّمطية المسبقة عن تخلف اللّغة العربيّة عن مواكبة التّقدّم والحدّات والعلوم التّطبيقية.

الأفضليّة التعليميّة الممنوحة للغات الأجنبية تهدّد باندثار العربيّة لغة وهويّة: إن السياسات اللّغوية في البلدان العربيّة التي بنيت على اللغات الأجنبية، واجهت مشكلتين، المشكلة الأولى هيمنة اللغات الأجنبية ذات الرّيادة الحضاريّة، ومشكلة الثانية ضعف اللغة العربيّة الفصحى في التّواصل اليومي بين أبنائها، لذلك تبقى السياسات التربويّة لمشكلة اللّغة كماهيّة، وجوهر، وبنية جرّت على اللّغة العربيّة تحدّيات جمة، لذلك لا بد من إعادة النظر في السياسات التربويّة اللّغوية للحفاظ على اللّغة العربيّة كلغة حضاريّة قادرة على التّعاطي مع مستحدثات العصر.

إنّ السياسات اللّغوية الغربيّة تربط لغتها بالبحث العلمي وتسعى بكلّ ما أتيت من قوة لاستعمال اللغة القوميّة، و لذلك تلقى كلّ الدعم المادي لإنجاز الأبحاث العلميّة، ولا يكتفي بذلك؛ بل يمضي لأبعد حد ممكن في إذابة ونسف اللغات، والهويات الذاتية عن طريق ضرب أركانها من الداخل. لقد أدركت الأمم الرائدة أهمية التعليم في صياغة العقول؛ ولهذا تحاول فرض لغتها في نظام التعليم في الدول المتخلفة والضعيفة، لهذا يتدخل الغرب في نظام التعليم في معظم المناهج التعليميّة في البلدان العربيّة، ويضع المناهج الرامية إلى سلب لغة القرآن، والتاريخ والحضارة، والهوية.

والتاريخ الحديث والقديم يحفظ لنا دعوات كثيرة دعت لإحلال العامية في المدرسة، وجعلها لغة الأدب والعلوم، لذلك عندما نتحدث عن ضعف مستوى اللغة العربية على ألسنة الناطقين بها، وعندما نبحث عن الأسباب لابد أن نعود للسياسات التعليمية بدءاً من الابتدائية التي لا يوجد بها الاهتمام الكافي بهذه اللغة، مروراً ببقية المراحل التعليمية ووصولاً إلى الجامعة، إضافة لعدم اهتمام المجتمع نفسه بها كلغتنا الأم في مقابل التأكيد على اللغات الأجنبية التكيف ومواكبة عصر واعتبارها لغة الصفوة.

تمرّ اللغة العربية بتحديات خطيرة في الداخل والخارج، وعلى الرغم من الجهود التي بذلت وتبذل للنهوض بمستوى اللغة العربية، إلا أنّ هذه الجهود تبقى غير كافية. إنّ النهوض باللغة العربية وترقيتها في مجال البحث العلمي حتى يكون لها دور في تنمية المجتمع، لذلك أعتقد أنّ أية محاولة للنهوض بمستوى اللغة العربية يبدأ من المؤسسات التعليمية في أطوارها المختلفة، لما لها من دور عظيم في النهوض باللغة العربية، والعمل على توطئتها بين أهلها، وجعلها لغة العلم، والبحث والمعرفة أولاً، ثمّ تقديمها للغير ثانياً، ولا يمرّ ذلك إلا ضمن استراتيجية واضحة المعالم تشتغل على توطئتها لا تهميشها، وإقصائها، ومحاربتها، والتشويش عليها.

ومن أسبابها الانهزام النفسي واحتقار الذات: لابد من الاشتغال على تخليص أبنائها من شعور باحتقار الذات، والشعور بالنقص، إذ ينبغي تعلم الطفل لغة الفصحى الأم أولاً، ثمّ نفتح أمام أطفالنا أبواب المعرفة الإنسانية على اتساعها؛ الأمر الذي يتيح لهم أن يبدعوا بلغتهم، ويضيفوا إلى التراث الإنساني، وللأسف لغتنا العربية تعيش اليوم انتكاسة لا مثيل لها بسبب أزمة الهروب والتملص من الذات، فهي تعيش حالة إغراب وجفاء بين أبنائها، كلّ ذلك انعكس، سلباً على الواقع اللغوي، ووصمت اللغة العربية بالعجز والقصور عن مواكبة التطور العلمي عليها. والحضاري، والعجز الحقيقي ليس في اللغة؛ بل في أهلها الناطقين بها والقيمين

ومن أسبابه الإعلام: ويقول الشيخ محمد الغوالي: ونجح الاستعمار في إبعاد الفصحى عن لغة التخاطب ليستأنف إبعادها عن لغة التأليف والإذاعة.²³

ولذلك عملوا، ويعملون على إحلال العامية مكان الفصحى، فقد حاولوا تقعيد العامية، ودعوا إلى اعتمادها لغة الكتابة في الجرائد، والمجلات، والإذاعة، والتلفزة، ودعوا إلى جعلها لغة الأدب المكتوب، وبذلوا جهوداً مضنية في جمع الأدب العامي كي يوهموها الناس أنّ العامية لها أدب مثل الفصحى، وكي يشجعوا الناس على التطبع مع العامية.²⁴

ومن سلبياتها أنّها سترسم قواعد جديدة: لأنّ العامية لا تخضع لمثل القوانين الفصحى لأنها تلقائية متغيرة تتغير تبعاً لتغير الأجيال وتغير الظروف المحيطة بهم.²⁵

ولن تستغنى اللغة العامة عن قواعد متفق عليها، لأنّ اللغة المرتجلة بلا قاعدة ربما صلحت لوقتها ومكانها، ولا تصلح لجميع الأوقات، وجميع الأمكنة، وانظر ماذا حدث في اللغات الأوروبية الدارجة بعد إهمال اللاتينية؟ لم تذهب القواعد النحوية والصرفية؛ بل قامت في اللغات الفرنسية، والإيطالية، والإسبانية الحديثة، قواعد مطردة أصعب على المتعلم

من القواعد اللاتينية فالذين يريدون محو الفصحى لا يخلصون حين يزعمون أنهم يطلبون الخلاص من القواعد التي يصعب على المتعلمين أن يتقنوها، ويلتزموها فإنّ القواعد المهروب منها آتية لا محالة بعد استقرار اللهجة الدارجة على حال من الأحوال، وإنّما يطلبون محو "اللغة الفصحى" لأنّها قوام ثقافة كاملة هي المقصودة بالهدم والإلغاء.²⁶

ومن الآثار السلبية لاستخدام العامية ربما يأتي يوماً يحتاج فيه كلّ بلد من البلدان العربية إلى ترجمة العامية المستخدمة في البلد الآخر لما بينها من التباعد والتدابر، فالمصري قد يحتاج أن يترجم إلى لهجته كتب السوريين، واللبنانيين، والعراقيين، ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية إلى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والإسبانيين، وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسيين.²⁷

و من أسبابها الانفتاح المذموم هو الذي أدى إلى ذوبان الشخصية الثقافية واللغوية بسبب الانهيار والاعترا ب والاستلاب، والانهزام النفسي، عبر منافذ الاختراق والتغريب، والإسلام لا يمنع الانفتاح المحكم الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ الأنعام: 148، إنّ المشكلة الحقيقية لا تكمن في اللغة ذاتها؛ بل في الإنسان العربي الذي يعيش مرحلة الانهيار والشعور بالنقص والضعف من انتمائه، فيمارس هذا النقص هروباً من أصالته وهويته، ولغته، وتراثه، إنّ الاعتزاز باللغة اعتزاز بالانتماء القومي الذي يميزه عن غيره.

ومن الحلول المقترحة توطي ن البحث العلمي باللغة العربية: حيث يذهب الأستاذ حسن البشير: إنّ الباحث عندما يكتب بحثه بالعربية، فهو يؤصل انتماء بحثه لأمّتنا، ويجعل نتائج بحثه في دائرة المشاركة العربية في مواكبة الحضارة الإنسانية، ويضيف قائلاً: أما بحوث العلماء العرب بلغات أخرى فهي ملك حضاري لتلك اللغات، وحرمان للغة العربية من التطور والمشاركة في النهضة العلمية، وحرمان لها من توطي ن البحث العلمي والتقني بها.²⁸ وهذا الوعي الحقيقي بالتحدي التي تواجهها اللغة اليوم في الجامعة، في نظر العديد من الباحثين .

ومن الحلول أيضاً تكذيب فرية العربية لا تصلح للعلوم والتقنية: ظلّت النخب التي مسخت

بالاستغراب، والاستلاب في الأوساط الأكاديمية تردد فرية أنّ العربية لا تصلح لتدريس العلوم

التقنية، وأنّها عاجزة عن استيعاب التقدم العلمي والمصطلحات العلمية والحضارية التي نشأت في لغات أخرى، وتحاول إقناع نفسها بهذه الكذبة، وتعمل جاهدة لإجهاض أيّ عمل للنهوض باللغة العربية في مجال البحث العلمي. وهي الفرية، والمغالطة التي ردها، وما زال يرددها كثير من الباحثين، هؤلاء يعلمون خصوبة اللغة العربية، وغناها، وقدرتها غير المحدودة على استيعاب كل مصطلحات العلم الحديث، ربما أكثر من لغات أخرى كثيرة على الرغم من وجود بعض النقائص، أو عن طريق الاشتقاق، أو نحت ألفاظ جديدة، وهم يدركون المحاولات العلمية الناجحة سواء التي بُذلت بواسطة أفراد، أو جماعات أو هيئات (مثل مجامع اللغة العربية)، والتي تمّ فيها نقل مصطلحات العلم الحديث

والحضارة المعاصرة إلى اللغة العربية. وأثبتت هذه المحاولات بالفعل .. قدرة اللغة العربية على استيعاب كل مصطلحات الحضارة الحديثة، وهم يعلمون أكثر من غيرهم حال اللغة العربية في عصور الحضارة العربية الإسلامية، وازدهار العلوم، وكيف كانت اللغة العربية تستوعب العلوم المختلفة، وتمتلك من الغنى، والخصوبة، والتجدد ما يجعلها قادرة على التعبير، والتأثير، سواء في العلوم التي نشأت في ظل الحضارة العربية والإسلامية، أو التي نقلت إليها عن طريق الترجمة، أعتقد أنّ الإشكالية التي يطرحونها، وطبيعة النقاشات المرتبطة بها، لم تتمّ حتى الآن معالجتها بالشجاعة المطلوبة، وبالديمقراطية التي تعتمد الحوار البناء، الحوار العلمي البعيد عن التبعية والأحكام المسبقة.

إنّ التكذيب الحقيقي لهذه الفرية والرد على هذه المغالطة ما نشهده من دولة اليابان والصين وألمانيا، واليونان، وكوريا الجنوبية، وأندونيسيا، وغيرها من الدول التي تدرس العلوم بلغاتها المحلية ولم تنعزل هذه الدول عن التقدم العلمي الذي يجري في العالم، خاصة وأن أسس وقواعد العلوم الأساسية والرياضيات ثابتة لا تتغير.

وتؤكد محيا زيتون على ضرورة استعادة دور اللغة العربية كعامل محفز على التعاون

العربي، كما تدعو لوضع خطط للتعليم في البلدان العربية كأولوية تعمل على تمكين إجادة

اللغة العربية، ...وتتبنى فكرة أن تكون اللغة العربية هي الوسيط الرئيس للتدريس في

المدارس ومؤسسات التعليم العالي.²⁹

ويقول محمد الغزالي والتفسير الوحيد الذي نستطيع أن نقدمه لهذا التناقض، هو أنّ الدول التي سادت فيها لغات غير لغتها القومية قد أتاحت لها الفرصة لأن تلاحظ أكثر الأثر الهدام لإهمال اللغة الأم، وأن تؤمن أكثر باستحالة تحقيق الوحدة الثقافية والاستمرارية التاريخية وربط الأجيال الجديدة بواقعه، ممّا أدى إلى تخطيط وفشل عمليات التنمية المتكاملة، في حالة الاستمرار في تجاهل اللغة القومية³⁰

إنّ اللغة العربية ليست أداة للتخاطب فقط بل هي وعاء ثقافي وهوية إسلامية فهي لغة القرآن الكريم، والحفاظ عليها هو حفاظ على هذه الهوية وعلى هذه الثقافة، فهي فكر وذات وعنوان ولغة تفكير وتعبير، ويشكل امتلاكنا للمعارف والتكنولوجيا بهذه اللغة الطريق لتمثل هذه التكنولوجيا وإنتاجها.³¹

ومن الحلول ربطها بالقرآن الذي خلدها: ولولا القرآن الكريم لما دُوت اللغة العربية نفسها بالأصل، ولما استنبط لها من قواعد النحو والصرف الإملاء ما هو متعارف عليه اليوم ومتداول، بل ولظلت اللهجات الكثيرة سائدة على ما فيها من اختلاف بين الناس حتى يوم الناس هذا ولكن الله قيض لهذه اللغة أن ينزل القرآن الكريم بها، ليحفظها من العبث، وليمنحها قدرة فائقة على الاستمرار والنماء وسخر لها من يخدمها ويرعاها حتى اليوم.³²

وقد أدرك هذا الحقيقة بروكلمان، فهو يتحدث عن فضل القرآن على اللغة العربية حيث بلغت العربية بفضلها من الاتساع ما لا تكاد تعرفه لغة من لغات العالم، فالمسلمون جميعاً يؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي أحل

لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت العربية مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى.³³ ولعل هذا الذي دفع يوهان فك أن يقول: "لقد قامت الفصحى في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزا لغويا لوحدة العالم الإسلامي في الثقافة والمدنية. لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية عن مقامها المسيطر. وإذا صدقت البوادر، ولم تخطئ الدلائل، فستحفظ العربية في هذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدينة الإسلامية".³⁴

ولذلك يهدفون لانتشار العامية، واستخدامها لقطع الصلة بلغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وما يتصل بهذا الكتاب السماوي من علوم، وما يتصل باللغة العربية من حضارة وآداب، وعلوم بصفة عامة، إذ لو تحقق أمل المستشرقين منذ ما يزيد عن قرن لأصبحت العربية كاللاتينية، لغة غريبة لا يعرفها أحد، ومن ثم ستنقطع الصلة بين اللغة العربية، وتراثها الحضاري الضخم. وقد تبني هذه الفكرة كثير من المفكرين العرب فيما بعد، وحاولوا أن يوهموا الناس أن العربية الفصحى تعيق التقدم، وتكرس التخلف، وما زالت الدعوة إلى العامية تظهر وتختفي، وما زال أصحابها يتذرعون بالأفكار نفسها التي صاغها المستشرقون رواد الدعوة إلى العامية.

ولعل من الحلول التخلص من الهزيمة النفسية: إنَّ الهزيمة النفسية التي تجتاح العالم العربي، قد اكتسحت جميع المجالات الإقتصادية، والعسكرية، والسياسية، والثقافية، واللغوية، ولأنَّ المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب- كما ذكر ابن خلدون- فإنَّ أموراً كثيرة قد تغيرت في حياة العرب من جراء هذه الهزيمة، وكانت لغتهم من بين ما لحقه التغيير، وتبقى الهزيمة النفسية في نظري من أخطر أعداء الأوطان والأمم، فهي أخطر من الهزائم العسكرية والتخلف التكنولوجي والفقر.

الخاتمة: لم يكن هدف الدراسة، ولا من أهدافها ترجيح رأي على رأي، ولا الانتصار لفريق على آخر لأنَّ التجاذب بين العربية الفصحى، والعامية حتمية قائمة، وسيظل النقاش حولها مستمراً، وتبقى الآراء حولها متباينة بين قبولها، ورفضها، ويحتدم النقاش، والتخاصم حولها، فما بين خطر الاندثار والانتصار، أو الانكسار والانحسار، وبين التكريس، والتأسيس، وهذوء التصالح، أو الغلبة، والهيمنة، والسيطرة لطرف على آخر، وبين صعود، وهبوط، وتجادب ستبقى الأسئلة التي طرحتها هذه الورقة البحثية على نفسها قائمة حتى يُجاب عنها بشكل فعلي، فليس بالضرورة أن تجد الحلَّ الحاسم لها غداً، ولكنَّها تبقى تصرُّ على طرحها، وتدعو الباحثين لمناقشتها مناقشة علمية هادئة بعيدة عن الارتجالية وردت الأفعال الآنية والمرحلية؛ فلا يزال السؤال مطروحاً حتى نصل إلى الإجابة المناسبة، والعلاج الشافي الذي من خلاله يمكن أن تستردَّ اللغة العربية الفصحى حيويَّتها، وتستردَّ الأمة مزيداً من ملامح شخصيَّتها، وهويَّتها.

النتائج المتوصل إليها: توصلت الدراسة على النتائج التالية:

- التفریط في اللغة العربية الفصحى هو استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.
- الفصحى ليست لغة تواصل فحسب؛ بل هي لغة الدين، والأدب، والعلم، والحضارة لا بد من العز عليها بالنواجد.

-التدريس في المدارس باللغة العربية، والانفتاح على اللغات الأخرى وفق إستراتيجية تمكّن الفرد الإطلاع على المنجزات العلمية، مع ضرورة ارتباطه بهويته وقيمه وجذوره الحضارية.

- على الرغم من إقرار معظم دساتير الدول العربية على أنّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية

، نلاحظ غياب استراتيجيات أو سياسات لمعظم الدول العربية في مجال تدعيم اللغة العربية.

التوصيات: توصي الدراسة:

- تثمين وتشجيع الجهود التي تبذل للحفاظ على اللغة العربية .

- جعل الهدف الاستراتيجي في المرحلة القادمة الحفاظ على مكونات الهوية واللغة .

تدعيم مكونات الفصحى وترسيخها في المناهج التعليمية.

-ضرورة الوقوف على الأساليب التي تساعدنا على الحفاظ على الهوية اللغوية للفصحى.

المصادر والمراجع:

1-إتقان في علوم القرآن:جلال الدين السيوطي، تحقيق:سعيد المندوب، ط.الأولى دار الفكر، لبنان، 1416هـ .

2- الإحكام في أصول الأحكام:علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، ط.الأولى ، 1404 ، دار الحديث، القاهرة.

3-أسس التقدّم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث:فهي جدعان، ط3، 1988م، عمّان، دارالشروق.

4- أساسيات اللغة تراسك:ت.رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ع381، ط1، 2002.

5- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم:أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق:محمد حامد الفقي ، ط.الثانية ، 1369، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

6- البحث العلمي في الإدارة والعلوم الأخرى:عماد الدين وصفي، 2003دار المعارف الاسكندرية.

7- البحث العلمي في الوطن العربي: دور الجامعات ومسؤولياتها، عاقل. نبيه، شؤون عربية، عدد 72، كانون الأول، 1992.

8-البرهان في علوم القرآن:الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.الأولى، 1376هـ، 1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

9-بيان المعاني:محمود آل غازي العاني، ط.الأولى، 1382هـ، 1965م، مطبعة الترقى، دمشق.

- تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر: نفوسة زكريا سعيد، ط1، م، دارالثقافة لإسكندرية، مصر. 1964
- تحديات عصر المعلومات: نبيل علي، مكتبة الأسرة، الأعمال العلمية، القاهرة، 2003.
- التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور 1997 م، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- التجارة بالتعليم في الوطن العربي: الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية: زيتون، محيا، مركز دراسات الوحدة العربية،¹ 2013، بيروت، لبنان.
- التعدد اللساني واللغة الجامعة: عثمان سعدي 2014، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
- التعدد اللغوي واللغة الجامعة: حسن بشير، التعدد اللساني واللغة الجامعة، 2014 منشورات المجلس الأعلى للغة العربية.
- التعليم العالي في عصر المعرفة: التغيرات والتحديات وآفاق المستقبل: سعيد بن حمد الربيعي، ط. الأولى 2008، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط. الثانية 1420 هـ - 1999 م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- دراسات في فقه اللغة: صبيحي الصالح، ط. 3، 2009 م، دار العلم للملايين.
- دراسات في اللغة واللهجات والأساليب: يوهان فك، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، دار إحياء التراث العربي.
- الرسالة: الشافعي تحقيق: أحمد شاكر، ط. الأولى، 1358 هـ، 1940 م، مكتبة الحلبي، مصر.
- الشجرة التعليمية رؤية متكاملة للمنظومة التربوية: مذكور، علي أحمد، 2000، دار الفكر العربي، القاهرة.
- صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، إعداد: فريق العمل في مشروع الرصيد اللغوي الإعلامي، ط. الأولى. 1435- 2014.
- العربيتي في: الكتابة العربية بالأحرف اللاتينية: أ.د. سعد بن طفلة العجمي، لغة الشباب العربي في وسائل بحوث حول الهجين
- التواصل الحديثة، (العربي، الفرانكو)، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، ط. الأولى 1426 هـ - 2014، م.
- الفصحى لغة القرآن: أنور الجندي 1982، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

- في رحاب الفكر والأدب :د.علي المصري 1998 منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- اللغة العربية بين التهجين والتهيب "الأسباب والعلاج" 2010 المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
- اللغة العربية القيمة والهوية: بسام بركة ، مجلة العربي، العدد 528، نوفمبر 2002.
- اللغة والهوية: إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات: فيصل الحفيان، مجلة التسامح، العدد الخامس 1425هـ-2004.
- مجموع الفتاوى: ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم 1416هـ/1995م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
- مرايا الهوية: الأدب المسكون بالفلسفة ، جان فرانسوا ماركويه، ترجمة أ. كميل داغر، مراجعة لطيف الزيتوني، الطبعة الأولى 2005، بدعم من مؤسسة الفكر العربي، دار المنظمة العربية للترجمة.
- معركة المصحف في العالم الإسلامي: محمد الغزالي، ط. الأولى، دار نهضة مصر.
- مع الله دراسات في الدعوة والدعاة: محمد الغزالي، ط. الأولى، دار النهضة، مصر.
- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: محمد الغزالي ، ط. الأولى، دار نهضة مصر.
- مقدمة في علم الاستغراب: حسن حنفي: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1412هـ، 1992م .
- من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوة: أنور الجندي، 1990، بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
- من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي: سعيد يقطين، ط1. ، 2005، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب.
- الموافقات: الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز دار المعرفة ، بيروت.
- 1993 Daniel Péchon et autres compacte éditions Larousse: Dictionnaire Larousse-
- الهوامش:

¹ الرسالة: الشافعي تحقيق: أحمد شاكر، ط. الأولى، 1358هـ، 1940م، مكتبة الحلبي، مصر، ص: 45.

² المصدر نفسه، ص: 46.

³ أنظر مجموع الفتاوى: ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم 1416هـ/1995م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية 171/9.

³الموافقات:الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز دار المعرفة ، بيروت 115/4.

³ المصدر نفسه 391/3.

انظر:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 5/ 1، و بيان محمود آل غازي العاني، ط.الأولى، 1382هـ، 1965م، مطبعة الترقى، دمشق 7/1، والإتقان في علوم ³المعاني: القرآن:جلال الدين السيوطي، تحقيق:سعيد المنذوب، ط.الأولى دار الفكر ، لبنان، 1416هـ / 213، و البرهان في علوم القرآن:الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.الأولى، 1376هـ، 1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.1/ 292.

³انظر:تحديات عصر المعلومات: نبيل علي، مكتبة الأسرة، الأعمال العلمية، القاهرة، 2003، ص: 254. العربيتي في:الكتابة العربية بالأحرف اللاتينية:أ.د.سعد بن طفلة العجمي، لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة، بحوثحول الهجين(العريزي، الفرنكو)، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، ط.الأولى1426هـ- 2014، م ³ ص:15.

³صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، إعداد:فريق العمل في مشروع الرصيد اللغوي الإعلامي، ط .الأولى. 1435- 2014، ص:369.

³ المرجع نفسه، ص:374-375.

³ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ص: 207.

³ المرجع نفسه، ص: 206.

³ Dictionnaire Larousse:Daniel Péchon et autres compacte éditions Larousse1993 p :.523

³ اللغة العربية بين التهجين والتهيب "الأسباب والعلاج" 2010المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص:22-23.

³من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي:سعيد يقطين، ، ص:29.

³انظر:أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث:فهمي جدعان، ط3، 1988م، عمان، دارالشروق، ص:392.

³انظر:مقدمة في علم الاستغراب:حسن حنفي:المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت، 1412هـ/1992م ص:23.

³ انظر:من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي:سعيد يقطين، ص: 66.

من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي:سعيد يقطين، ط1. ، 2005، المركز الثقافي الدار البيضاء المغرب، ص:25. ³العربي

⁴ انظر مجموع الفتاوى:ابن تيمية، تحقيق:عبد الرحمن بن محمد بن قاسم1416هـ/1995م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية171/9.

⁵الموافقات:الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز دار المعرفة ، بيروت 115/4.

⁶ المصدر نفسه 391/3.

انظر:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 5/ 1، و بيان محمود آل غازي العاني، ط.الأولى، 1382هـ، 1965م، مطبعة الترقى، دمشق 7/1، والإتقان في علوم ⁷ المعاني

- القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المنسوب، ط. الأولى دار الفكر، لبنان، 1416هـ / 4 / 213، والبرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الأولى، 1376هـ، 1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه 1 / 292.
- ⁸ من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوة: أنور الجندي، 1990، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ص: 195.
- ⁹ تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط. الثانية 1420هـ - 1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع 356/4.
- ¹⁰ التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور 1997م، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس 160/13.
- ¹¹ اللغة العربية القيمة والهوية: بسام بركة، مجلة العربي، العدد 528، نوفمبر 2002، ص: 86.
- ¹² اللغة والهوية: إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات: فيصل الحفيان، مجلة التسامح، العدد الخامس 1425هـ - 2004.
- ¹³ الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، ط. الأولى، 1404، دار الحديث، القاهرة 34/1.
- ¹⁴ انظر التعدد اللساني واللغة الجامعة: عثمان سعدي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2014، 155/1.
- انظر: مرايا الهوية: الأدب المسكون بالفلسفة، جان فرانسوا ماركيبه، ترجمة أ. كميل داغر، مراجعة لطيف الزيتوني، مؤسسة الفكر العربي، دار المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، 2005، ص: 13. من ¹⁵ بدعم
- ¹⁶ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. الثانية، 1369، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ص: 203.
- انظر: أساسيات اللغة تراسك: ت. رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ع 381، ط 1، 2002، ص: 96-97. ¹⁷
- ¹⁸ من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوة: أنور الجندي، ص: 195.
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص: 195.
- ²⁰ انظر: المرجع نفسه، ص: 195.
- ²¹ معركة المصحف في العالم الإسلامي، ص: 175.
- ²² انظر: بحوث في اللغة والنحو والبلاغة: عبد الله أحمد النبهان، ص: 70-72.
- ²³ معركة المصحف في العالم الإسلامي: محمد الغزالي، ط. الأولى، دار نهضة مصر، ص: 176.
- انظر تاريخ الدعوة إلى العامة وأثرها في مصر: نفوسة زكريا سعيد، ط 1، 1964م، دار الثقافة لإسكندرية، مصر، ص: 3.
- ²⁴
- ²⁵ المرجع نفسه.
- ²⁶ مع الله دراسات في الدعوة والدعاة: محمد الغزالي، ط. الأولى، دار النهضة، مصر، ص: 38.
- ²⁷ انظر دراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح، ط 3، 2009م، دار العلم للملايين، ص: 360.
- ²⁸ التعدد اللغوي واللغة الجامعة: حسن بشير، ضمن التعدد اللساني واللغة الجامعة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2014، 97/1.
- انظر التجارة بالتعليم في الوطن العربي: الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية: زيتون، محيا، مركز دراسات الوحدة
- 2013، بيروت، لبنان ص: 288. ²⁹ العربية،

- ³⁰ انظر مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: محمد الغزالي، ط.الأولي، دار نهضة مصر، ص:67.
- ³¹ الشجرة التعليمية رؤية متكاملة للمنظومة التربوية:مذكور، علي أحمد، 2000، دارالفكر العربي، القاهرة، ص: 28.
- ³² في رحاب الفكر والأدب :د.علي المصري1998 منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص:165.
- ³³ الفصحى لغة القرآن:أنور الجندي1982، دارالكتاب اللبناني، بيروت، ص:205.
- ³⁴ دراسات في اللغة واللهجات والأساليب: يوهان فك، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص:195.